فشعرت وكأن روحها تُنتزع من جسدها بسبب عجزها وفقدانها لأحبّتها ...

"لم أستطع الركض بسبب إعاقتي، فحملني أخي بمساعدة أخي الآخر، وبدأنا رحلة في طريق مجهول، نمشي فوق الأشلاء والجثث والمصابين، كثيرون منهم لم يجدوا من يسعفهم."

الحرب أخذت من كان يحملني

لم يخطر ببال رنا، البالغة من العمر (45 عامًا) والمقيمة على الحدود الشرقية لحي الشجاعية شرق مدينة غزة، أن شلل الأطفال الذي أصيبت به منذ طفولتها سيصبح يومًا عبئًا مضاعفًا عليها. فقد اعتادت التعايش مع إعاقتها، إلى أن جاءت حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة، فشعرت وكأن روحها تُنتزع من جسدها بسبب عجزها وفقدانها لأحبّتها.

عانت رنا منذ سن الخامسة من شلل الأطفال نتيجة حقنة خاطئة، وأُضيفت إليها هشاشة العظام التي أثقلت جسدها. ومع مرور الوقت، تفاقم وضعها الصحي أكثر بسبب نقص الغذاء النظيف والمياه والعلاج، وانعدام المراكز الصحية لمتابعة حالتها، خاصةً في ظل الحرب.

تقول رنا: "قبل الحرب، كنت أعيش حياة بسيطة لكنها جميلة ومستقلة وسط عائلتي المكونة من (14) فردًا؛ أبي وأمي، وإخوتي الستة الذكور ومثلهم من الإناث. كنت أرتاد إحدى الجمعيات لتعلّم الخياطة والحياكة، وأقضي معظم وقتي على ماكينة الخياطة التي اشتريتها بجهدي، أعمل بها لأكسب قوت يومي إلى جانب ما يصلني من مخصصات الشؤون الاجتماعية".

"كان منزلي على الحدود الشرقية مبنيًا من الباطون، هادئًا وجميلًا، تحيطه الأشجار والزرع، وتُزيّنه أصوات العصافير كل صباح. فهو بيت يتناسب مع إعاقتي، ويمنحني إحساسًا بالحب والحياة، لكن للأسف، فقدت كل ذلك بعد أن جُرّفت المنطقة بالكامل". تضيف رنا

استيقظت العائلة في السابع من أكتوبر 2023 على أصوات الصواريخ المتواصلة. لم تدرك حينها ما الذي يحدث، فبقيت في منزلها حتى ساعات العصر، قبل أن تبدأ الصواريخ الإسرائيلية تتساقط بشكل عشوائي، ما اضطرهم إلى الفرار.

وتضيف رنا بأسى: "لم أستطع الركض بسبب إعاقتي، فحملني أخي بمساعدة أخي الآخر، وبدأنا رحلة في طريق مجهول، نمشي فوق الأشلاء والجثث والمصابين، كثيرون منهم لم يجدوا من يسعفهم."

تتابع: "وصلنا إلى منزل أختي في حي التفاح شرق مدينة غزة، وأقمنا عندها أسبوعًا. في الرابع عشر من أكتوبر 2023 أبلغنا بإشارة إخلاء من الاحتلال الإسرائيلي لمنزل مجاور، فاضطررنا للنزوح مجددًا وسط قصف متواصل. حاولت المشي بنفسي حتى لا أكون عبئًا على إخوتي، لكن جسدي خانني فحملني أخي مرة أخرى. قلبي كان ينزف من الحزن؛ شعرت أنني أصبحت عبئًا على أهلي".

نزحت رنا وإخوتها إلى منزل أختها الأخرى المتزوجة في حي الزيتون جنوب شرق مدينة غزة، حيث مكثوا عشرة أيام. وفي منتصف الليل، صدرت إشارة إخلاء من قوات الاحتلال الإسرائيلي لمخرطة حديد مجاورة، فاضطرت العائلة للنزوح مجددًا في الرابع والعشرين من أكتوبر 2023. لجأوا إلى مستشفى الشفاء، حيث نُصبت لهم خيمة عاشوا فيها شهرين كاملين، وسط معاناة قاسية بسبب غياب الفُرش والأغطية، وصعوبة استخدام المراحيض غير المناسبة مع تكدس أعداد هائلة من النازحين.

تقول رنا: "كنت أذهب إلى المرحاض بصعوبة بالغة، حيث كانت ترافقني أختي في كل مرة. وبعد معاناة طويلة، لجأت إلى إدارة المستشفى فأعطوني مفتاحًا لمرحاض خاص أستخدمه".

وتضيف: "لم تكن الأيام تمر بسهولة، فبعد شهرين من المكوث في المستشفى، وتحديدًا في الخامس والعشرين من ديسمبر 2023، هدد جيش الاحتلال الاسرائيلي مستشفى الشفاء. أصبحنا حينها تائهين بلا وجهة، لا نعرف إلى أين نذهب، وفي النهاية قررنا النزوح إلى جنوب قطاع غزة".

تتابع رنا: "كان النزوح صعبًا للغاية، خاصة بالنسبة لي، بسبب ضعفي الشديد نتيجة قلة الغذاء والدواء. سرنا مسافات طويلة حتى وصلنا إلى دوار الكويت جنوبي مدينة غزة، ثم عبرنا الحاجز، وهناك شاهدنا جثثًا متحللة وشهداء ممددين على الأرض. لم يُفرّق الجيش الاسرائيلي بين ذوي الإعاقة أو الحالات الإنسانية، والخوف كان يسيطر علينا في كل لحظة. سقطتُ أكثر من مرة أثناء السير، إما بسبب الحفر أو من شدة الرعب".

وصلت رنا إلى النصيرات وسط قطاع غزة بصعوبة بالغة، فرأت المرضى يُغمى عليهم من شدة التعب والحر، فيما كان ذوو الإعاقة بلا أي أدوات مساعدة، الأمر الذي اعتصر قلبها قهرًا. ومن هناك، انتقلت مباشرة إلى مدينة رفح جنوب القطاع، حيث نزحت مع عائلتها إلى إحدى المدارس قرب دوار النجمة. مكثت سبعة أشهر بين جدران المدرسة المزدحمة، قبل أن يتعرض المكان في منتصف الليل لقصف بصاروخين تحذيريين، خلّف عددًا كبيرًا من الشهداء والجرحى.

نزحت رنا وعائلتها في يوليو 2024 إلى مواصي خانيونس جنوب القطاع، حيث أقامت خيمة اعتبرتها مساحة للذل والمهانة. تقول رنا: "لم أجد مرحاضًا مناسبًا، واضطررت للصيام لتجنب استخدامه كي أتمكن من النوم دون الحاجة لاستخدامه".

تضيف رنا: "لقد فقدت (50) شخصًا من عائلتي، بينهم أخواني الاثنين، ولم أتمكن من توديعهما. كما أصيب ابن أخي وبقي في مصر للعلاج، وباتت حالتي النفسية صعبة، وأعاني من ارتفاع ضغط الدم."

تقول رنا بحزن وألم: "حياتي الآن مختلفة تمامًا عما قبل الحرب؛ أصحو على البعوض والحشرات والحر الشديد، وأجد صعوبة في الحصول على الطعام والمياه والأدوية، معظمها غير متوفر. كما فقدت أدواتي المساعدة مثل عكازي وأجهزة القدم، إلا أن أحد الجيران تبرع لي بعكاز مؤقت."

تعيش رنا حاليًا مع عائلتها في أحد المدارس في تل الهوا غرب مدينة غزة، بلا أي مصدر دخل، ومعرضين دائمًا للقصف، لكنهم مضطرون للبقاء هناك. تتلقى بعض المساعدة من أخوتها، لكنها تضطر للسير مسافات طويلة للحصول على الطعام والمياه والأدوية، رغم حاجتها للطعام الصحي والمياه النظيفة بسبب إصابتها بقرحة المعدة.

تضيف رنا: "أصعب لحظة مرت عليّ كانت حين فقدت إخواني، وأصبحت أخشى أن أصبح عبئًا أكبر على عائلتي. النزوح بالنسبة لي يشبه خروج الروح من الجسد، وأخواني هم من كانوا يساعدونني على النزوح، فكانا يحملانني، فالحرب أخذت من كان يحملني."

وتوجه رنا رسالتها إلى العالم: "أوقفوا الحرب، انظروا إلينا بعين الرحمة، كفى موتًا وعذابًا، وساعدونا على توفير العلاج والغذاء والماء الصالح للشرب فورًا. أريد أن أعيش حياة آمنة ومستقلة ولو لفترة قصيرة، لأتخلص من الخوف والمعاناة".